مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة ـ نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes

24

العدد

الرابع

والعشرون

مارس2022م

تصنيف الرقم الدولي (ISSI/2710-3781)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثم يَتَوَفَاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرَذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِير)

صدق الله العظيم

(سورة النحل– آيه70)

هيئة التحريـــر			
عبد السلام مهنى فريوان رئيساً			
د. أنور عمر أبوشينة	مديراً	د.فوزية محمد علي مراد	عضواً
د. عبد المولى محمد الدبار	عضواً	د.شعبان على أبوراس	عضواً
أ. عبدالله محمد ضو	عضواً	د.أحمد مريحيل حريبش	عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة، ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية تجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف/واتساب (00218925217277 د. أنور)

(00218926861809 د. عبد المولى)- أو (00218924778614 د. فوزية)

البريد الإلكتروني:hsj@elmergib.edu.ly.com

قواعد ومعايير النشر

– تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة، التي تتسم بوضوح المنهج، ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية، والإنجليزية، والدراسات الإسلامية، والشعر والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة وعلم الاجتماع، والتربية وعلم النفس، وما يتصل بها من حقول المعرفة.

– ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة، على أن لايزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

– نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة، ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة التي تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

– ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين، وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات الآتية (اسم المؤلف كاملاً –عنوان الكتاب –مكان وتاريخ النشر–عدد صفحات الكتاب –اسم الناشر–نبذة مختصرة عن مضمونه –تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

ـ يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوي على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في إعداد البحوث.

– يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة، ولم يسبق أن نُشرت أو قُدمت للنشر في مجلة أخرى، أو أية جهة ناشرة، وأن يتعهد الباحث بذلك خطيًا عند تقديم البحث، وتقديم إقرار بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلًا أو جزءًا من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

ـ لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تقبل بحوثًا باللغة الإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

– تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث، وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقًا محفوظًا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إلى المجلة.

– لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يُقبل.

– تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر؛ وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لاتتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث، ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

– تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذا كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم، وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولًا مشروطًا بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريرًا يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملحوظات والتعديلات المطلوبة.

– ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

– تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

– الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة، كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

– ترفق مع البحث السيرة العلمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث، ودرجته العلمية، وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

– يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

– تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

– إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

– يترتب على الباحث في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية، ويجب أن يكون العنوان مختصرًا قدر الإمكان، ويعبر عن هدف البحث بوضوح، ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

- أن يكون البحث مصوغًا بإحدى الطريقتين الآتيتين:

1- البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيرًا قائمة المراجع.

2- البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبينًا فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيرًا يثبت قائمة المراجع.

- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة إلكترونية على(CD) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة، ولا تزيد عن 30 صفحة، بما في ذلك صفحات الرسوم، والأشكال، والجداول، وقائمة المراجع.

- يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

- يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن 12 Times New Roman للغة الإنجليزية ومسافة ونصف بخط 13 Simplified Arabic للأبحاث باللغة العربية.

- في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزًا للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر، كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب، ويكون الخط بحجم 12.

– يجب أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلًا بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.

طريقة التوثيق: يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فأن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

– ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولًا: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبًا بالبنط الغامق، واسم المحقق، أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد –أن تعددت المجلدات –والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان: ج، ص.

ثانيًا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبًا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبًا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البدليان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعًا بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوبًا بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي–مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعًا: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة، ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين «» بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عددين متتالين؛ وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- البيروقراطية بين النظرية والتطبيق دراسة تحليلية
د. آمنة رمضان علي العريفي.....16
2- الإتباع الحركي التقدمي في القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري .
أ. نورية صالح إفريج.....68
3- ظاهرة اللجوء السياسي في الدولة الإسلامية في صدر الإسلام .
د. مراد خليفة كورة، أ. فائزة أحمد الصغير 97
4- حكم نقل الأعضاء وفق النظر الطبي والاجتهاد المقصدي .
د. علي عبد الله إجمال، أ. سالم مفتاح إبراهيم بعوه.....124
5- صدام الحضارات بين الواقع والنظرية نظرية صامويل هنتنجتون "أنموذجا" قراءة تحليلية نقدية .
د. مسعودة رمضان العجل.....155
6- الآثار المبتهجة في شرح الشواهد الشعرية للأدوات والصرف في الأنوار المنبلجة لشرح المنفرجة لأبي العباس النقاوسي .
د. محمد سالم العابر 178
7- الصورة الشعرية .
د. عطية صالح الربيقي.....219
8- إلزام الواعد بوعده ومواعدته المرابحة للآمر بالشراء أنموذجاً.
أ. فرحات البشير الكاسح.....245

9-خيول القبائل الليبية الأصيلة وشهرتها العالية من أقدم العصور حتى القرن الأول قبل الميلاد .

د. عياد مصطفى محمد إعبيليكة.....289

10- النمو الحضري وتطور أنماط استعمالات الارض بمدينة الخمس .

د. رجعة سعيد الجنقاوي، د. نجوي عمر الجنين.....306

11- ثقافة الجسد الأنثوي وإعادة إنتاج التمثلات الاجتماعية والثقافية للتراتبية الجنسية (دراسة ميدانية) .

أ. سعاد علي الرفاعي.....333

12- الحياة الاقتصادية لمدينتي المهدية والمنصورية في عهد الفاطميين .

د. خالد محمد مرشان، أ. أحمد على دعباج، أ. نور الهدى نوري مجبر.....381

13-تكامل الحكمة والشريعة عند ابن رشد الحفيد.

د. صلاح حسن شنيب.....431

14-التوزيع الجغرافي للناخبين في ليبيا عام 2012م .

د. إلهام نوري الشريف.....459

15-الاعتزال عند الجاحظ .

أ. كميلة محمد عبد الله.....485

16- العوامل الطبيعية وأثرها على الأنشطة الاقتصادية في منطقة الخمس.

د. الصادق محمود عبدالصادق، د. عمر إبراهيم المنشاز.....510

17- الموارد السياحية في بلدية الكفرة

د. بشير عمران أبوناجي، د. إبرهيم مفتاح الدقداق.....542

18- الخاطرة في أدب شريفة القيّادي دراسة تطبيقية فنية .

أ. فاطمة رجب محمد موسى.....577

19-اعتراضات ابن قيم الجوزية على آراء سيبويه النحوية في كتابه "بدائع الفوائد"

د. محمود محمد أميمن.....616

20-السجون والسجناء في الدولة الأموية (41- 132هـ)

حمزة محمد البكوش ، د.علي أحمد القائد 650

21- علاقة العالم المادي بالحركة الزمانية في فلسفة نصير الدين الطوسي .

د. أحمد مريحيل حريبش.....684

22- الدين وتطور الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر القديمة (3200-2280ق.م)

د. شعبان علي أبوراس، أ. سكينة ظافر الأرناؤوطي.....707

23- الدروس المستفادة من معاناة الأنبياء عليهم السلام مع قومهم (السامري والمساس..انموذج معاصر) .

د. محمد أوحيدة أحمد أوحيدة.....751

24- " المتطلبات المُناخية لمحاصيل الخضراوات في الضفة الغربية- فلسطين"

د. حجازي محمد أحمد الدعاجنة، أ. آية أحمد عبد الشكور النتشة.....785

25- عوامل انتشار الإسلام في شرق وجنوب شرق آسيا)

د. سليمة بوعجيلة المسماري.....829

26- دافعية الإنجاز وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى طلبة جامعة المرقب دراسة امبريقية .

د. نجاة سالم زريق، د. ليلي محمد اكتيبي، أ. هيفاء مصطفى اقنيبر.....853

27- مفهوم الدين في فلسفة توماس هوبز .
د.فوزية محمد مراد.....892
28-ظاهرة السلوك العدواني (مفهومه وأسبابه وأشكاله) والأساليب الإرشادية لمعالجة هذه الظاهرة .
إعداد: أ.فاطمة أحمد قناو/ أ.زهرة أبوراس.....924
29-Second Language Teacher Cognition and Learner Outcomes: A Case Study of English Pronunciation Teaching in a Libyan University
Najah Mohammed Genaw.....956
30-Morphological Awareness And Its Correlation With Vocabulary Knowledge Among Undergraduate Students
AMAL SALEH SASE.....977
31-Università di khoms Facoltà di Lettere Dipartimento di Lingua Italiana L'insegnamento Dell'italiano nella letteratura Italiana Come LS
I Docenti : Taher E Abubaker Lashter/ Touraia Ibrahim El Eluani Wagdi R.M Danna.....998

الحياة الاقتصادية لمدينتي المهدية والمنصورية في عهد الفاطميين

* د. خالد محمد مرشان
* أ. أحمد على دعباج
* أ. نور الهدى نوري مجبر

المقدمة:

قامت الدولة الفاطمية في بداية القرن الرابع الهجري كدولة إسلامية حُكامها أئمة أهل البيت، ورغم كونها دولة شيعية إسماعيلية إلا أنها احتوت كل المذاهب والأديان مُكونة مجتمعاً أنموذجياً قاد لنهضة فكرية مزدهرة مُسجلة أروع الصفحات في عمر الزمن. فقد تمتعت مدينة المهدية منذ تأسيسها على يد الداعي الشيعي عبدالله المهدي سنة 308هـ/910-920م من أشهر المدن الإسلامية في المغرب بعد القيروان بموقع جغرافي مميز ذي أهمية كبرى، فهو عبارة عن برزخ ممتد داخل البحر "شبه جزيرة " لاسيما أنها تطل على البحر من ثلاث جهات جعلتها حصناً منيعاً للتصدي ضد الغزوات الخارجية، ومركزاً تجارياً مهماً بحوض البحر المتوسط، والبحر الأحمر حيث يسهل فيها المواصلات، وعدم وجود موانع طبيعية، وتتمتع بمناخ معتدل لا تؤثر فيها التيارات الهوائية، فقد كانت لغزارة الأمطار وخصوبة التربة الصالحة الزراعة أثر ملحوظ في ازدهار الحياة الاقتصادية فيها، وقد اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بالزراعة فحسنوا الأصناف القديمة، وجلبوا أصنافاً جديدة، كما اهتموا بالتجارة الداخلية والخارجية، فكانت بلادهم جسرا بين الشرق والغرب عن طريق البحر المتوسط، والبحر الأحمر، فدر ذلك خيراً كثيراً، نَعِمَ الناس به وعاشوا في رخاء.

تكمن أهمية الموضوع في محاولة دراسة الاقتصاد في مدينتي المهدية والمنصورية في عهد الفاطميين ودورهما الفعال في بناء هاتين المدينتين.

ولعل من أهم الأسباب والدوافع في اختيار هذه الدراسة، هو الوقوف على الحياة الاقتصادية في مدينتي المهدية والمنصورية، والدور الذي قامت به جغرافية المدينتين في عهد الفاطميين في تحقيق التطور الاقتصادي، وهل حققت الزراعة والصناعة أهدافاً ملحوظة؟ وما دور النشاط التجاري فيهما؟ وما مدي تأثيره على الدولة الفاطمية؟

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة ركائز ودعائم النشاط الاقتصادي، والكشف عن أنواع المبادلات التجارية ونظم وقواعد التعامل التجاري، والتعرف على أهم الطرق البرية، والنهرية المستخدمة في العهد الفاطمي، وأهم السلع الصادرة والواردة.

إن الإشكالية في هذه الدراسة ترتكز على طرح موضوع الحياة الاقتصادية من خلال التركيز على طبيعة مقومات الاقتصاد للدولة الفاطمية (زراعة – صناعة – تجارة) وموقع المدينة وأثره في دعم التجارة، والمؤسسات التجارية والعلاقات التي تربطها بالدول المجاورة.

تطرح هذه الدراسة بعض التساؤلات المهمة التي سيسعى البحث للإجابة عنها، ولعل من أهمها ماهي مقومات الاقتصاد لمدينتي المهدية والمنصورية في عهد الفاطميين؟ ما أبرز العوامل التي ساعدت المدينتين على نموها وازدهارها؟ وكيف كانت أوضاع المرافق التجارية كالأسواق والمخازن إضافة لوسائل النقل البرية منها والبحرية التي تربط المدينتين بالبلدان المجاورة؟ وهل كانت مشاريع الري التى أسهمت في ازدهار الزراعة في العهد الفاطمي ليست من صنع الفاطميين؟ وما أهم المحاصيل الزراعية التي اعتمدت عليها بلادهم؟ وما أهم المواد الاولية اللازمة

التي استخدموها في صناعتهم؟ وهل استفاد الفاطميون من الامكانيات المادية المتوفرة في بلادهم؟

وتم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، وهي على النحو الاتي:

المبحث الأول ـ النشاط الزراعي.

المبحث الثاني ـ النشاط الصناعي.

المبحث الثالث ـ النشاط التجاري.

المبحث الأول ـ النشاط الزراعي

أولاً- مشاريع الري:

لقد كان من أسباب الازدهار الزراعي اهتمام الخلفاء الفاطميين بمشاريع الري، فقد وجّهت الدولة الفاطمية عنايتها لحل مشكلة الجفاف بإقامة مشاريع الري المختلفة للتحكم في مياه الأمطار، كما قامت بتصليح وترميم القديم منها لتوسيع الرقعة الزراعية وزيادة الإنتاج.

فقد انتشرت السدود في أنحاء متفرقة من بلاد المغرب، للسيطرة على مياه الفيضانات، وتخزين الفائض منها على شكل برك خلف هذه السدود الصخرية [1].

كما زوّدت كثير من المدن بالصهاريج "المواجل" لحفظ الماء للسقي، والشراب، وجلبوا لها الماء من العيون، وسفوح الجبال، والأودية، وذلك في القنوات،

---

[1]) عفيفي محمود إبراهيم عبد الله: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، القاهرة، 1977م، ص34.

أو على ظهر الحنايا، وقد سار الخلفاء الفاطميون على نهج من سبقوهم في الاهتمام بتزويد المدن بهذه الصهاريج، فعند بناء المهدية زُوّدت بثلاثمائة وستين ماجلاً من المواجل العظام [1]، كما أصرّ المُعزّ الفاطمي على عمل الصهاريج في الصحاري بين سرت والفيوم، عندما عزم على المسير إلى مصر [2].

وكان بخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلاً سقاية لأهلها، تجمع فيها مياه الأمطار والسيول في فصل الشتاء [3].

كما كان بمدينة سوسة ماجلاً عظيماً يستفيد السكان من مائه في زمن الشدة، وكانت تتجمع فيه مياه الأمطار، بواسطة قناة مُدّت إليه، وقد أُقيم في جانب مدخله مدرج ينزل بواسطته إلى أسفل الماجل [4].

كما كان ثلاثمائة وستون من جباب الماء في الطريق من برقة إلى أفريقية في وادي موسى فقط [5]، عدا ما كان في برقة وسرت وأجدابيا وطرابلس [6].

---

[1]) البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص29.

[2]) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، تصحيح زيتون، دار الطباعة السلطانية، تونس، 1840م، ص140.

[3]) اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، أبو العباس، صفة المغرب، "" مأخوذة من كتاب البلدان له "" طبع أوربا، د.ت، ص8.

[4]) عبد الوهاب: حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، ج2، مكتبة المنار، تونس 1972م، ص64.

[5]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص5.

[6]) المقدسي: أبو عبد الله بن احمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ط3، 1909م، ص224.

وكانت القنوات وقناطر الماء من أعظم مشاريع الري، التي نالت اهتمام الخلفاء الفاطميين وعنايتهم، فقد حفر الخليفة المعز قناة آية في الروعة والدقة، وكانت ماؤها من عيون في مكان يعرف بـ (عين أيوب)، وتقع خارج مدينة المنصورية، وتبعد عنها بأكثر من ثلاثة وسبعين ألف ذراع، ويتخلل الطريق الذي تنساب فيه هذه القناة مرتفعات ومنخفضات وصخور [1].

كما قام الفاطميون بتصليح وترميم ما أفسد الدهر من قناطر وقنوات قديمة، مثل حنايا قرطاج (قناطر) [2]، وهناك حنية أخرى في قسنطينة، أورد البكري وصفاً لها أثناء ذكره لأنهار المدينة [3].

فإنني أري يجب إيراد حقيقة مهمة ألا وهي: أن مشاريع الري التي أسهمت في ازدهار الزراعة في العصر الفاطمي، ليست من صنع الفاطميين وحدهم، وإنما يعود معظمها إلى العصور السابقة لهم، ولكن كان لهم الفضل في صيانة ما وجدوه منها.

ثانياً: الزراعة:

ومن أوجه النشاط الاقتصادي الزراعة، التي تُعد إحدى أعمدة الاقتصاد الفاطمي، وقد اعتنى الفاطميون عنايةً شديدة بالزراعة، لما تُمثّله من أهمية في

---

[1]) النعمان: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي واخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس ،1978، ج1، ص173.

[2]) الحنايا: ما كان منحنياً كالقوس، وسُمّيت تلك القنوات بالحنايا لأنّها كانت مقامة على الأقواس، وكان يبلغ ارتفاعها أحياناً 2 متر، صقر: أحمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بو سلامة، تونس، ج1، ص330.

[3]) ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت، ص86.

الوضع الاقتصادي، وقد تنوّعت المحاصيل الزراعية تنوعاً كبيراً، ومن أهم هذه المحاصيل الحبوب:

القمح: ويُعدّ من أهم المحاصيل الزراعية محصول غذائي في إفريقية، ولذا فقد كثرت زراعته في أماكن متفرقة من البلاد، فقرية طافنجة والأربس كان لهما فحص واسع، ولهم من الغلات والحنطة والشعير أمر عظيم، وكذلك مدينة آجر[1]، كما وُجدت مزارع واسعة منه في مدينة تاقديت[2]، وقد كانت مدينة باجة تسمي هُري إفريقية لوفرة إنتاجها ورخص أسعارها[3]، أما مدينة قسطيلية فالقمح بها قليل، ولذا فقد كان "سعر الطعام بها في سائر الوقت غالٍ؛ لأنّه يُجلب إليها"[4]، كما زُرع في بوادي مدن بونة وطبنة، وبجاية، أما مدينتي مرسى الدجاج، وتاهرت فكان بهما القمح الكثير، وكذلك في مدينتي برشك ووهران[5].

أما مدينة ماسينة فكان لها بادية من غلاتها القمح[6]. وكذلك مدينة سجلماسة التي وصف البكري قمحها بقوله: "وقمحهم رقيق صيني يسد مد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين ألف حبة"[7]، أما مدينة أودغست فيبدو أن

---

[1]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص53.

[2]) المصدر نفسه، ص56.

[3]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص94.

[4]) المصدر نفسه، ص57-76-85.

[5]) المصدر نفسه، ص76-77-86.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص151.

[7]) المصدر نفسه، ص158.

الحنطة بها قليلة، لأنّها طعام الملوك وأهل اليسار عندهم، إذ كان سعره عندهم في أكثر الأوقات المثقال بستة مثاقيل[1].

أما الشعير: فقد كثرت زراعته في مناطق مختلفة، وقد عُدّ محصول رئيسى في المغرب الأدنى، فزُرع بالقرب من مدينة برقة[2]، وكذلك بالقرب من طرابلس في سويقة ابن مثكود[3]، كما زُرع في جبل نفوسة، وكان الناس يُكثرون من زراعته؛ لأنّهم يتّخذون منه الخبز[4]، وقد وصف ابن حوقل زراعة الشعير عندهم بقوله: "وأكثر زرعهم الشعير، وإياه يأكلون، وإذا خُبز كان أطيب طعماً من خبز الحنطة، ولشعيرهم لذة ليس لخبزٍ من أخباز الأرض؛ لأنّه ينفرد بلذة ليست في خبزٍ إلا ما كان من سميدٍ وحواري قد تألق صانعه فيه[5]، كما كثرت زراعته في مدينة الأربس وفي مدينة باغاية وفحص طبنة ووهران[6].

كما زُرعت الذرة: في أماكن قليلة، وكانت محصول غذائياً يأتي في المرتبة الثالثة بعد القمح والشعير[7]، ومن الأماكن التي اهتمت بزراعته مدينة ودان[8]،

---

[1]) ابن سعيد: المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق د.خوان قرنبيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1958، ص80.

[2]) الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، قطعة مأخوذة من كتاب"" نزهة المشتاق في اختراق الأفاق""، لندن،1863، ص130.

[3]) إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967، ص98.

[4]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص94-95.

[5]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص86.

[6]) المصدر نفسه، ص77-84-85.

[7]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص44.

[8]) الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، المصدر السابق، ص133.

ومدينة زويلة[1]، ومدينة سجلماسة[2] ، وقد لخّص لنا العُمري أهم الحبوب التي زُرعت في بلاد المغرب بقوله: "والموجود بها من الحبوب: القمح، والشعير، والحمص، والفول، والعدس، والذرة، والدخن، والجلبان، والبسلة وتسمى بإفريقية البسيم"[3].

وعن المحاصيل الأخرى نجد **قصب السكر..** وقد انتشرت زراعته في بعض مدن بلاد المغرب، فزُرع في مدينة جلولا القريبة من القيروان[4]، ولم تصلح زراعته في مدينة توزر، أما مدينة قابس فكان بها قصب كثير[5]، كما أن بلاد السوس أكثر مناطق المغرب إنتاجاً للقصب، فقد وجد في أكثر مدنها وقراها[6]، وأهم مناطق زراعته في بلاد السوس مدينة إيجلس[7].

أما القطن: فقد انتشرت زراعته بسرعة، لما له من أهمية خاصة في صناعة النسيج. ولذا فقد اشتهرت مدينة أجدابيا بزراعة نوع من القطن نُسب إليها، لا

[1]) اليعقوبي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص6.

[2]) ابن رسته: أحمد بن عمر أبو علي، الأعلاق النفسية، مطبعة بريل، ليدن، 1891، ص359.

[3]) العمري: مسالك الأمصار في الممالك والامصار، تحقيق ميخائيل أماري، مكتبة الصقلية،1858م، ص4.

[4]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص32.

[5]) المصدر نفسه، ص58.

[6]) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار فى وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، 1958 م، ص111-112.

[7]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص161-162.

يُجانسه صنفٌ من أصناف القطن[1]، كما كان القطن من غلات مدن قرطاجنة[2]، وطنبة والمسيلة[3].

وأمّا الزيتون: فهو من أهم محصولات بلاد المغرب، وكان من أهم عوامل ثرائها وتقدّمها، ولذا فقد حرص أهل البلاد وحكامها على غرس هذه الشجرة والعناية بها في جميع أنحاء البلاد، ولذلك كانت أشجار الزيتون تمتد نحو 12 ميلاً في قصور مسراته[4]، كما وجدت صناعة عصر زيت الزيتون في مدينة برقة، مما يدل على وجود أشجار الزيتون في تلك المدينة[5]، وفي جبال نفوسة وجدت أشجار الزيتون[6]، كما كان لمدينة قابس من الزيت والزيتون ما ليس مثله لمن جاورهم[7]، أما مدينة صفاقس فهي أهم مدن بلاد المغرب زراعة للزيتون، ومن زيتها تُموّن مصر، وأهل المغرب، وصقلية، والروم، وربما بيع الزيت منها أربعين ربعاً قرطبية بمثقال واحد[8]، ومما يلي القبلة من القيروان بلد يُقال له الساحل، وهي قرى متصلة انتشرت بها زراعة الزيتون[9]، كما كان يُحيط بمدينة تماجر غابة من أشجار الزيتون[10]، وأيضاً بالقرب من مدينة تونس جبل معروف بجبل التوبة، فيه قرى

[1]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص131.
[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص74.
[3]) المصدر نفسه، ص85-86.
[4]) ابن سعيد: بسط الأرض، المصدر السابق، ص80.
[5]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص70.
[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص9.
[7]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص70.
[8]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص60.
[9]) اليعقوبي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص11.
[10]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص29.

كثيرة الزيتون[1]، أما في الطريق ما بين تونس والقيروان، فيوجد منزل يُقال له مجقة، له غلة عظيمة من الزيتون تبلغ سبعين ألف درهم[2].

الكتان: وهو من المحاصيل الزراعية التي نالت العناية والاهتمام، إذ كان يُزرع بكثرة في الأحواز القريبة من مدينة سوسة[3]، وفي مدينة سبيبة وبونة وطنبة[4]، أما في مدينة تاهرت فقد زُرع الكتان في وادي شلف[5]، وكانت أكثر المناطق إنتاجاً للكتان مدينة متيجة، التي صدّرت فائض إنتاجها إلى المدن المجاورة[6].

الفاكهة: ازدهرت زراعة الفاكهة في أفريقية، في العصر الفاطمي، بفضل ما لقته من عناية واهتمام، فقد كان الخلفاء الفاطميون يُشيّدون البساتين، ويغرسون فيها أنواع كثيرة من الفاكهة، ولم تكن هذه البساتين تُشيّد فقط في العاصمة وحولها، وإنما امتدت إلى مختلف المدن، فقد أنشأ الخليفة المُعزّ البساتين الغنّاء، في مدينة المنصورية وضواحيها، ومن هذه البساتين ذلك البستان الذي أقامه في جهة تُعرف بـ(وادي القصارين) على مقربة من المنصورية، وقد غرس فيه مختلف أنواع الأشجار، وأجرى إليه الماء، وصار أحسن بستان رآه الناس[7].

---

[1]) المصدر نفسه، ص39.

[2]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص229.

[3]) عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج2، المرجع السابق، ص73،

[4]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص75-76-84-85.

[5]) اليعقوبي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص19.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص65.

[7]) النعمان: المجالس والمسايرات، ج2، المصدر السابق، ص381-382؛ حسن: حسن إبراهيم، المعز لدين الله، القاهرة، 1948م، ص208.

التين: وغُرست أشجاره في بادية صبرة [1]، وجبل نفوسة[2]، كما أحاطت مدينة قفصة كثير من أشجار الفاكهة أكثرها شجر التين[3]، كما وُجد التين أيضاً في القيروان[4]، كما اشتهرت مدينة تونس بإنتاج نوعٍ من التين يُسمّى الخارمي، وهو أسود كبير، رقيق القشر، كثير العسل، ولا يكاد يوجد به بذر[5]، وهناك أيضاً فاكهة أخرى مثل السفرجل[6]، والنارنج[7]، والتفاح[8]، والتوت[9]، والرمان[10].

أما الخضر: فهي من المحصولات المهمة، التي قام الفلاحون بزراعتها، لسد احتياجاتهم الغذائية، ومن أشهرها: الخيار، واللفت، والقثاء، واللوبيا، والباذنجان، والقرابيط، والكرنب، والرجلة، والخص، والملوخيا، والقرع، والقلقاس، وغير ذلك من أنواع الخضروات [11].

---

[1]) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص224.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، ص94.

[3]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص75.

[4]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص224.

[5]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص148.

[6]) زُرع في برقة وتونس وطرناسة "البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص5-41؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص27.

[7]) وعُرف في مدينة تونس وتوزر، "البكري: المغرب، المصدر السابق، ص41-49".

[8]) وُجد في طرابلس وقابس وقفصة "المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص224؛ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص153.

[9]) وُجد في مدينة قابس "البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص17".

[10]) وُجد في تونس ونكور "البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص41-91".

[11]) العمري: شهاب الدين أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دار الكتب العلمية،2010 م، ص5؛ القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة

كما زُرعت الزهور في جميع مناطق إفريقية، حيث أُنشئت البساتين في المنصورية والمهدية وغيرها من المدن، وقد أجمل العمري أهم ما زُرع منها في بلاد المغرب وهي: "الأس، والورد، ومعظمه أبيض، والياسمين، والنرجس، والنيلوفر الأصفر، والترجان، والمنثور، والبنفسج، والزعفران، والحبق، والنمام، وغير ذلك من الورد"[1].

الثروة الحيوانية والسمكية:

كان لوفرة المراعي الخصبة في الدولة الفاطمية سبباً مباشراً في نمو الثروة الحيوانية، وانتشار حرفة الرعي التي عمل بها أهل الحضر والبدو على السواء، كما كانت هذه المراعي تضم حيوانات متنوعة، وكثيرة العدد، من الخيل، والبغال، والحمير، والإبل، والبقر، والغنم، والماعز، أما الجاموس فلم يكن موجوداً عندهم [2].

الأبقار: كثرت تربيتها في المناطق الشمالية، حيث المراعي الدائمة الخضرة، وقد استخدم المزارعون ذكوره من الثيران في أعمال الري والحرث [3]. وقد أشار البكري إلى وفرة الأبقار في مدينة القيروان [4]، وكان لمدينة بونة إقليم واسع

الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة،ج2، ص113-176.

[1]) العمري: مسالك الأبصار، المصدر السابق، ص5.

[2]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص113-176.

[3]) الدباغ: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الانصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النوار ومحمد ماضور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ج1972،4م، ص44-45.

[4]) حيث ذكر البكري أن ما ذُبح بالقيروان في بعض أيام عاشورا من البقر خاصة فانتهى تسعمائة وخمسين رأساً، المُغرب، المصدر السابق، ص26.

وبادية أكثر سوائمها البقر [1]، وكذلك طنبة والمسيلة وتاهرت [2]. كما رُبّيت الأبقار في بلد مطاطة مسكور التي تقع على نهر ملوية [3].

الأغنام: هي أكثر ملائمة للبيئة من الأبقار، ولذا نجدها أكثر انتشاراً في إفريقية، وقد اشتهرت مدينة برقة بتربية الأغنام، وكان من المعروف أن أكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية منها "لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها"[4]. أما مدينة بونة فكان الغنم من تجارتها لكثرته [5]. وقد أشار الإدريسي إلى تربية الأغنام بمرسى الدجاج بقوله: "بها الغنم والبقر موجودة كثيراً، وتُباع جملتها بالأثمان اليسيرة، ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق"[6]، كما انتشرت تربية الأغنام في الجزائر بني فرغني، وطبنة، وتاهرت [7]. كما اشتهرت أغنام وجدة بكثرة شحومها، وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الاستبصار بقوله: "يُذكر أنّه يوجد في الشاة من شياههم مائتي أوقية شحماً"[8].

---

[1]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص75.

[2]) المصدر نفسه، ص76-85-86.

[3]) البكري: المُغرب ، المصدر السابق، ص147.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص5؛ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص143.

[5]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص76.

[6]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص90.

[7]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص76-85-86.

[8]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص177.

الماعز: كان حظها في الانتشار قليلاً إذا قورن ببقية الماشية في بلاد المغرب، ولذلك لم يحظ إلا بإشارات قليلة من قبل المؤرخين. فقد ذكر ابن حوقل أن الماعز وُجد في مدينة سرت[1].

الجمال: وهي وسيلة مهمة من وسائل المواصلات في الصحراء، وهي كالأغنام المصدر الرئيسى للحصول على اللحوم عند جماعات البدو، والحضر على السواء. وقد عرفت بلاد المغرب الجمل في القرن الخامس الميلادي، عندما جيء به من آسيا، وباستعماله استطاعوا التغلّب على ظروف الحياة القاسية في الصحراء، والسيطرة أيضاً على طرق التجارة فيها [2]، وكان رجال الصحراء في الإقليم الذي يلي الساحل هم أكثر الناس اهتماماً بتربية الجِمال واقتنائه، لأنّه أكثر تحملاً لجفاف الصحراء وُجد بها، ويذكر البكري أن القبائل التي تعيش في جبل أوراس: "يظعنون في زمن الشتاء إلى الرمال، حيث لا مطر ولا ثلج خوفاً على نتاج إبلهم"[3].

الخيل: هي من حيوانات الترف عند العرب، وبرز استعماله في الحروب. وتشتهر بعض مدن المغرب بتربيتها، ولا سيما مدينة برقة الغنية بالمراعي الخصبة، والتي كانت تصدّر الخيول إلى مدينة الإسكندرية [4]. كما وجدت الخيول بكثرة في

---

[1]) بقوله: "ولحوم الماعز أغذى فيها من الضأن وأنفع وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم الماعز بغيرها، لأنّها غير ملائمة لأهلها وللمسافرين المجتازين من أجل مراعيها"، ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص68.

[2]) بوفيل: إي. و، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة رياض زاهر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص74.

[3]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص144-145.

[4]) أبي الفداء: تقويم البلدان، المصدر السابق، ص132.

سهل حمودة من بلاد إفريقية [1]. أما بادية بونة فقد كثرت فيها الخيل السائمة للنتاج [2].

البغال والحمير: هي من حيوانات الحمل، وقد كثر استخدامها في بلاد المغرب، لقدرتها على السير في المناطق الجبلية الوعرة، وقد وجدت البغال في تاهرت [3]؟

كما أنّ التُجّار يفدون ويروحون إلى مدينة صبرة على حمير مصرية [4].

الطيور الداجنة: أهتم السكان بتربية الطيور، للحصول على لحومها وبيضها، ومنها الدجاج، والأوز، والحمام [5]. كما كانت هناك طيور أخرى منها الكركي، الذي يُعرف عندهم بالفرنوق، وهو صيد الملوك بمصر والشام [6]. وبغربي بونة يوجد طائر يُسمّى الكيكل الذي كان يضع من جلوده حسب البكري يُباع بالأثمان الغالية"[7].

الأسماك: اشتغلت طائفة من سكان بلاد المغرب في حرفة صيد الأسماك، وقد ساعدهم على ذلك طول سواحلهم، والبحيرات الداخلية أو المجاري المائية، وقد زوّدتهم هذه المسطحات الواسعة بكميات كبيرة من الأسماك [8].

---

[1]) مجموعة من المؤلفين: تونس الخضراء، ص35.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص75-76.

[3]) المصدر نفسه، ص86.

[4]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.

[5]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص113-177.

[6]) العمري: مسالك الأبصار، المصدر السابق، ص6.

[7]) البكري: المصدر السابق، المصدر السابق، ص58.

[8]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص69.

وانتشرت هذه الحرفة خاصةً في مدينة صفاقس، كما كان يُستخرج السمك من وادي مجردة [1] وسواحل مدينة تونس [2]، وأيضاً يوجد بين مدينتي طرقة وباجة بُحيرة عظيمة بها أنواع من الحوت أشهرها البوري الذي يبلغ وزن الكبير منه عشرة أرطال وأزيد [3]، كما يوجد بغربي مدينة بونة بركة بها سمك كثير [4].

المبحث الثاني: النشاط الصناعي.

أولاً: الحرف والصناعات:

ازدهرت الصناعة في بلاد المغرب في العصر الفاطمي، وبلغت فيه أقصى درجات التقدم، فقد تنوّعت الصناعات وتعدّدت الحرف، واستحدثت صناعات جديدة. ولم يكن هذا التقدّم وليد صدفة، ولكنّه ثمار جهود شاقة واهتمام كبير ساعدتهم عليها العوامل الآتية:

أولاً– كان لوفرة المواد الأولية اللازمة للصناعة عاملاً مهماً في دفع عجلة الإنتاج الصناعي، لتساهم جنباً إلى جنب مع النشاط الزراعي، والتجاري في ازدهار الحياة الاقتصادية في أفريقية، وقد اعتمدت الصناعة على المواد الأولية المتوفرة في البلاد من خامات معدنية ونباتية، وحيوانية، إلى جانب استيراد بعض المواد الأولية من الأقطار المجاورة، إما لعدم توفرها أو لقلة إنتاج البلاد منها [5]، ومن أهمّ هذه المواد الأولية المعادن ومنها

[1]) التجاني: رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1981م، ص121.

[2]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص39–42.

[3]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص126.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص58.

[5]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص72.

معدن الحديد.. وقد توفرت خاماته في أسفل جبل طنطنة جنوبي فزان وودان [1]، وفي مدينتي مجانة، والأربس [2]، وكانت بونة أشهر مدن المغرب في استخراج خام الحديد وتصديره [3]، كما وُجد في بلاد كتامة [4]، ومدينة بجاية [5]، وفي مناطق أخرى عديدة [6].

أما معدن الفضة: فقد توفّر في مدينة بجاية [7]، وحصن وركناس [8]، ومدينة تدلا [9]، وأيضاً مدينة تازروات، التي كان بها "معدن فضة قديم غزير المادة"[10]، كما وُجد في مدينة تامدلت [11]، وكذلك مدينة سجلماسة وُجد برستاقها معدن الفضة [12].

[1]) أبي الفداء: من كتاب تقويم البلاد، المصدر السابق، ص22.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص84.

[3]) المصدر نفسه، ص75-76.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص33.

[5]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص91.

[6]) حيث وُجد في مدينة أرزاو وبين مدينتي وهران وسبتة، كما توفّر في مدينة فاس، المراكشي: عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار العرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلوي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1948م، ص362.

[7]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص84، ويُسمّى الوريطي.

[8]) المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص362.

[9]) ابن سعيد: بسط الأرض، المصدر السابق، ص75.

[10]) البكري، المُغرب، المصدر السابق، ص161.

[11]) المصدر نفسه، ص163.

[12]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص231.

أما الذهب: فلم يكن بوفرة المعادن الأخرى، واقتصر وجوده على أماكن قليلة من البلاد وخاصة المغرب الأقصى، فكان يُستخرج من مدينة جربة [1]، كما كان يُستخرج من مدينة تاودلت[2]، ومن كثرته شبه بالنبات [3]، وأيضاً بين تازروات وبلاد السودان [4]، كما وُجد في رستاق مدينة سجلماسة [5].

وأما معدن النحاس: فقد وُجد في جبال كتامة، وكان يُحمل منها إلى إفريقية وغيرها [6]، وكذلك وُجد بمدينة فاس النحاس الأصفر، ويُحمل منها إلى جميع الآفاق [7]. كما وُجد في مدينة تادلة [8]، وببلاد السوس [9]، وفي تيجامين بالقرب من سجلماسة [10].

[1]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص85 "... البكري يذكر هذا المكان دون غيره في المؤرخين.

[2]) اليعقوبي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص21.

[3]) المصدر نفسه، ص21.

[4]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.

[5]) المصدر نفسه، ص231.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص83.

[7]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص181.

[8]) يقول الإدريسي عن ذلك بأنّه "لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها، وهو نحاس حلو لونه إلى البياض يتحمل التزويج ويدخل في لحام الفضة "صفة المغرب، المصدر السابق، ص74.

[9]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص212.

[10]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص155؛ وتقع هذه المدينة في الطريق بين درعة وسجلماسة.

كما وُجد معدن التوتيا الذي يُستخدم في تحويل النحاس الأحمر إلى نحاس أصفر، ووجد ببلاد السوس[1]، كما استخرج حجر اللازورد من جبال كتامة[2]، ومعدن الرصاص من مدينة مجانة[3]، كما وُجد بها أيضاً معدن الكحل[4]، أما معدن الزئبق فقد وُجد في الجبال القريبة من مدينة أرزاو[5]، واستخرج معدن الكبريت من المناطق القريبة من حصن طلميته[6].

وقد أسهمت المحاصيل الزراعية في توفير بعض المواد الأساسية اللازمة للصناعة، فقد قامت صناعة السفن والأثاث على أخشاب الغابات المنتشرة في بلاد المغرب، وبصفةٍ خاصة خشب الأرز، المجلوب من جبال بني يازغة على بعد ثلاثين ميلاً من مدينة فاس [7].

[1]) المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص362.

[2]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص33-83.

[3]) اليعقوبي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص10.

[4]) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[5]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص70.

[6]) المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص362؛ "طلميته: فيما بين برقة وطرابلس حصن يسمى حصن طلميته".

[7]) ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبى زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص17.

وكانت هناك بعض المحاصيل الأخرى القابلة للتصنيع، والتي كانت متوافرة إلى حدٍ كبير، فقد استخدم القطن والكتان في صناعة النسيج، وجُلبت خامات الحرير من مدينة قابس، حيث توافرت أشجار التوت [1].

كما كان يُجلب الصمغ لدباغة الديباج من أرض صنهاجة [2]، ومن درعة كان يُجلب ثمر شجر التاكوت، الذي كان يُدبغ به الجلد الغدامسي [3]، بالإضافة إلى شجر الزيتون والهرجان التي كان يُستخرج منها الزيت، وما كانت توفّره أشجار الفاكهة من ثمار، استخدمت في صناعة تجفيف الفاكهة، وصناعة الخمور [4].

وقد أسهمت الثروة الحيوانية في توفير بعض المواد الأولية اللازمة للتصنيع، وخاصة الجلود التي قامت عليها صناعة دبغ الجلود وتصنيعها [5]، بالإضافة إلى حصولهم على جلود حيوان الفنك، الذي لا يوجد لجلده مثيل[6]، كما استخدموا أوبار الحيوانات في صناعة المنسوجات الصوفية، وألبانها في صناعة السمن [7].

ثانياً- ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار الصناعة في بلاد المغرب في ظل الفاطميين، انتشار الأمن واستقرار الأوضاع السياسية في

[1]) حيث إن الشجرة الواحدة منها تُنتج خمسة أمثال ما تنتجه شجرة غيرها. البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص157.

[2]) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3]) المصدر نفسه، ص152.

[4]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص78.

[5]) فقد كانوا يأخذون جلود حيوان اللمط ويصنعون منها الدرق اللمطية، وهي خفيفة لينة لا ينفذ فيها النشاب، ولا يؤثر فيها السيف "البكري: المُغرب، المصدر نفسه، ص71.

[6]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص112.

[7]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص78.

أرجاء البلاد، فالأمن فرضته قوة الحكومة المركزية، التي استطعت أن تُخضع جميع بلاد المغرب تحت لوائها [1].

ثالثاً- دفع خروج المناوئين على الفاطميين بجانب مخططهم الذي يهدف إلى تسارع حملاتهم نحو المشرق لفتح مصر، والانقضاض على أملاك العباسيين [2]، إلى الاهتمام بالصناعة لإمدادهم بالأسلحة والسفن والعتاد.

ولذلك بادر عبيد الله المهدي ببناء دار لصناعة السفن الحربية في مدينة المهدية تسع مائتي مركب [3]، ولقد حرص أحفاده من بعده على المضي في نفس الطريق باهتمامهم بتصنيع آلات الحرب وبناء السفن [4].

رابعاً- ومن ناحية أخرى كان لاتساع الدولة الفاطمية، وارتقائها وكثرة الخيرات بها -بفضل ارتقاء الزراعة والصناعة والتجارة - أن ساد المجتمع حياة قوامها الترف والبذخ، وقد ترتّب على ذلك وجود مجالات جديدة للصناعة لسد متطلبات البلاط الفاطمي ومجتمع الرفاهية السائد آنذاك [5].

[1]) المرجع نفسه، ص79.

[2]) المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج2، ص24.

[3]) المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحلفاء، نشر جمال الدين الشيال، دار الفكر، القاهرة، 1967 ج1، ص126.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص30.

[5]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص81.

وتجلّت حياة الترف هذه في بناء المدن والقصور، والتي كان من أهمها مدينتا المهدية والمنصورية، وما شيد بهما من قصور، اعتنوا بزخرفتها، وتأثيثها بأفخر الرياش، كما استخدموا المعادن النفيسة من ذهب وفضة وجوهر في صنع وتزيين الأواني والتحف، من أكواب وأباريق وفناجين وقوارير ومسارج وأقداح وكئوس، وغير ذلك من الأواني والتحف، فضلاً عن التماثيل الصغيرة التي كانت تُزيّن قصورهم [1].

أما عن أهم الصناعات في المغرب، فكانت صناعة النسيج التي برعت فيها البلاد، واعتبرت من الصناعات الرئيسة التي نالت العناية والاهتمام من الخلفاء والأمراء وجميع طبقات السكان.

لذا فقد ازداد الطلب على صنع الملابس، والسجاد الجيد، والبُسط، والطنافس، وأغطية الأرائك، والوسائد، والخيام، والبنود، والرايات، والستور، والخرائط، وأشرعة السفن، وقلاعها.

وفي الوقت نفسه – فقد اتخذ الفاطميون من المنسوجات وسيلة لتحقيق أغراض سياسية كالعمل على الإشادة بمركزهم الديني الممتاز، وتركيز هذه الفكرة في الأذهان، وكانت لهم عبارات خاصة استخدموها على الملابس وغيرها من الصناعات [2]، مثل (وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبو تميم الإمام المعز لدين الله أمير) [3].

[1]) ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، د.ت، ص284.

[2]) البراوي: راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948م، ج،1، ص126.

[3]) حسن: زكي محمد، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1948م، ص501.

وكان الإكثار من توزيع هذه الكسوات يُساعد على تحقيق هذا الهدف أيضاً، فقد كان الخلفاء والأمراء يستخدمون الأكسية من الحرير والقطن، والموشية بخيوط من الذهب، كهدايا يُقلّدونها لرجال دولتهم في المناسبات المختلفة، وكانت هذه الخلع تقوم مقام الأوسمة والنياشين في عصرنا الحديث [1].

كما كانت صناعة النسيج تُشكّل مورداً مهماً من موارد بيت المال، لما يُفرض عليها من ضرائب، وما كان يصدر من فائض نتاجها إلى الخارج مقابل سلع أخرى كانوا في أمسّ الحاجة إليها [2].

ومن أهم صناعات المنسوجات، صناعة الحرير، وأهم مراكزه مدينة قابس، وكان حريرها "أطيب الحرير وأرقّه وليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس"[3].

ومن أشهر أنواع المنسوجات الحريرية نوع يُعرف بالعتابي[4]، وآخر يُعرف بالتستري [5]، وهو موشّى بالذهب.

وكذلك اشتهرت صناعة الصوف في برقة، وسرت، وإجدابية، وطرابلس، وودان، حيث الأنسجة الصوفية من الأكسية والبسط والخيام، وذلك لكثرة تربية

[1]) الجوذري: منصور العزيزي، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل وعبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة،1954، ص35–36؛ حسن حسني عبد الوهاب: ورقات الحضارة، ج1، المرجع السابق، ص372.

[2]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص85.

[3]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص17.

[4]) جوذر: سيرة جوذر، المصدر السابق، ص75؛ "العتابي: نوع من الثياب الحريرية يُنسب إلى ابن حفيد عميرة المسمى عتاب، كان هذا النوع يُصنع في بغداد" البراوي: حلة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص133.

[5]) التستري: نسبة إلى تستر أشهر مدن إقليم خوزستان جنوبي فارس العربي، حسن إبراهيم حسن، طه شرف: المعز لدين الله، المرجع السابق، ص35".

الأغنام في هذه المناطق [1]، وقد امتازت طرابلس خاصة بالأنسجة الصوفية الفاخرة الملوّنة، فقد كان بها "الجهاز الكثير من الصوف المرتفع، وطيقان الأكسية الفاخرة الرزق، والكحل النفوسية، والسود والبيض الثمينة"[2].

كما اختصت جزيرة جربة "دون غيرها من البلاد بحسن الأصواف المحمودة الأوصاف التي ليس بإفريقية لما يُنسج عن أثوابها نظير، وذلك معلوم من أمرها شهير"[3]، واشتهرت أيضاً مدينة قابس بكثرة الأصواف [4].

أما الكتان فكانت أهم مراكز صناعته مدينة سوسة، التي زُرع الكتان في أحوازها، يُرفع من هناك إلى مصانعه في سوسة، التي كانت تقوم بتبييضه، ثم تتوالى مراحل تصنيعه من غزل ونسيج، حتى يخرج في النهاية من المصنع على هيئة مقاطع [5].

وللشهرة التي نالتها مدينة سوسة في تبييضها للمنسوجات الكتانية، فقد كانت مدينة القيروان تُرسل أثوابها إلى مصانع سوسة لتبييضها[6].

أما مدينة تونس فكانت تُصنع بها ثياب كتانية تُسمّى القماش الأفريقي، وهو نسيج رفيع من القطن والكتان معاً، أو من الكتان وحده وهو "أمتع من النصافي والبغدادي وأحسن، وهو أجمل كساوي أهل المغرب"[1].

---

[1]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص66-69؛ البكري: المغرب، المصدر السابق ص12.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص69.

[3]) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج2، المرجع السابق، ص73-74.

[4]) التجاني: رحلة التجاني، المصدر السابق، ص122.

[5]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص70.

[6]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص36.

وأما صناعة القطن، فلم تنل حظها من الانتشار كبقية المنسوجات الأخرى، ويرجع ذلك إلى قلة الناتج منه، لضيق المساحات التي تُزرع به، ولذلك نجد أن الأنسجة القطنية لم تكن من القطن الخالص، وإنما خُلطت بمواد أخرى من الحرير أو الكتان، ففي مدينة تونس يُصنع القماش الإفريقي وهو خليط من القطن ولكتان معاً [2]، وآخر يُسمّى السفساري يُصنع من خيوط الحرير والقطن [3].

ومن تونس كان يُحمل القطن إلى مدينة القيروان، حيث يوضع بدور الطراز برقادة [4]، أما مدينة تادلة فقد اشتهرت بصناعة الثياب القطنية [5].

أما عن الصناعات المعدنية، فقد قامت في إفريقية صناعات معدنية متطورة، بفضل الثروة المعدنية التي توافرت في أرجاء البلاد، ولكن هذه الصناعة لم ترق إلى مستوى فني جيد كسائر أنحاء العالم الإسلامي، فقد كانت التحف تزين بزخارف محفورة في معظم الأحيان، وكانت رسوماتها بعيدة عن الدقة والإتقان، ومعظمها رسوم هندسية أو نباتية مُحرّفة عن الطبيعة [6].

ومن أهم الصناعات المعدنية صناعة الحديد، الذي استخدم في صناعة الأسلحة التي انتشرت في معظم مدن المغرب، لتفي بحاجة البلاد من أنواع الأسلحة المختلفة من سيوف ورماح، وغيرهما من أدوات القتال، فكان أول ما فعله أبو القاسم عند تولّيه الخلافة أن "أمر عماله في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات

[1]) العمري: مسالك الأبصار، المصدر السابق، ص7.
[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص73-74.
[3]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص102.
[4]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص74.
[5]) ابن إياس: نشق الأزهار، المصدر السابق، ص9.
[6]) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، المرجع السابق، ص580.

الحربية"[1]، لمواجهة الاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية التي تعرّضت لها الدولة آنذاك.

ومن المدن التي اشتغلت في هذه الصناعة مدينة المهدية التي كانت تحاول إثبات وجودها آنذاك عاصمة إسلامية كبرى، ومن ثمّ فقد أمر الخليفة المنصور بصناعة سيوف خاصة بها على أن تكون "سيوفاً بحمائل على نصول تطبعها بالمهدية، تكون لها ولا يكون إفرنجي، ولا يماني، ولا غيره، فإن هذه السيوف المستعملة أمضى من كل سيفٍ رأيناه، وقد اختبرنا ذلك وجربناه مراراً وليكن حلية كل سيفٍ منها بخمسين ديناراً"[2].

كما صُنعت الأسلحة بمختلف أنواعها بمدينة بجاية، وأيضاً ببلاد السوس التي كانوا يصنعون بها رماح "طوال الأسنان رقاقها وينتخبونها من أطيب الحديد"[3].

ومن الحديد صُنعت أبواب المدن والحصون لصلابته ومناعته، فكانت أبواب مدينة صفاقس عليها "صفائح حديد منعية"[4]، وكذلك مدينة المهدية التي صُنع بابها "من حديد بعضه على بعض من غير خشب"[5].

كما استعمل الحديد في صناعة أدوات بسيطة كالمقصات، والسكاكين، ومقابض الأبواب، ومطارقها، والفؤوس، والمحاريث، والسلاسل وغيرها من الصناعات [1].

[1]) ابن عذارى: البيان، ج1، المصدر السابق، ص216.
[2]) الإدريسي: صفة المُغرب، المصدر السابق، ص91.
[3]) المصدر نفسه، ص62.
[4]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص130.
[5]) المصدر نفسه، ص108.

أما النحاس فكان يُستخدم في كثير من الصناعات المنزلية كالأباريق والصواني والأدوات المنزلية، إضافة إلى استخدام رقائقه في تغطية أبواب المساجد والقصور [2].

ومن المدن التي برعت في الصناعات النحاسية مدينة فاس [3]، ومدينة إيجلي التي اشتهرت بسبك النحاس وتصنيعه وتصديره إلى بلاد السودان [4].

وبالنسبة لمعدني الذهب والفضة فقد استخدما في صناعة الحلي وأدوات الزينة، وفي صنع الأواني وتحلية السروج والسيوف[5]، وفي سك النقود.

كما أدخلت خيوط من الذهب في صناعة الملابس الفاخرة [6]، ومن روائع ذلك النسيج، خارطة التي مر المعز بصنعها لأقاليم الأرض، والتي صنعت من الحرير التستري، ونُسجت بخيوط من ذهب ونُقشت بالفضة[7]. ولم يقتصر الأمر

[1]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص30؛ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص130.

[2]) الجزناني: على، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص58؛ إحسان حقي: المغرب العربي، دار اليقظة الفكرية للنشر والتوزيع، بيروت (د.ت)، ص207.

[3]) مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص181.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص162؛ كما كان بمدينة داي معدن نحاس لا يوجد له مثيل بمشارق الأرض أو مغاربها، ويستخدم في كثير من الصناعات الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص74-75.

[5]) جوذر: سيرة جوذر، المصدر السابق، ص47.

[6]) المصدر نفسه، ص52.

[7]) المقريزي: الخطط، ج1، ص267.

على ذلك، فقد استخدما أيضاً في صنع الحصر الخاصة بقصور الخلفاء والأمراء[1].

واحتوت خزانة حاضرة الخلافة مدينة المنصورية، على إسطرلاب صُنع من فضة، بناءً على أمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي[2]، إضافة إلى المعادن السابقة، استخدم معدن الرصاص في صنع الموازين[3]، وصنابير المياه[4]، أما القصدير فقد كان يُستخدم في بعض الأحيان في تغطية أسقف المساجد[5].

أما أنواع الجواهر والياقوت والزمرد، فقد استخدمت في تحلية بعض المصنوعات الذهبية، والسروج، والسيوف[6]، والسبح الفاخرة[7]، واستخدم أيضاً في تزيين عمائم الخلفاء والأمراء[1].

[1]) جوذر: سيرة جوذر، المصدر السابق، ص100.

[2]) كان الخليفة المعز قد أمر القاضي النعمان وهو بالمنصورية أن يصنع له إسطرلاب من الفضة الخالصة، فاختار النعمان صانعاً ماهراً، وأفرد له مكان في أحد أركان خزانة المكتبة، وأجلس معه ابنه محمد، فلما تمّ صنع الإسطرلاب على أحسن صنعة رفعه إلى المعز، فاستحسنه، وجازى ابنه محمد والصانع على عملهما " ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، د.ت، ج2، ص168؛ عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج1، المرجع السابق ص336-337.

[3]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص24.

[4]) المصدر نفسه، ص24.

[5]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص150.

[6]) ابن عذارى: البيان، ج1، المصدر السابق، ص249.

[7]) ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، دار المسيرة، لبنان، 1993، ط3، ص81.

كما ازدهرت في ذلك العصر صناعة الفسيفساء [2]، فقد اتخذها الخلفاء والأمراء في فرش غرف وقاعات قصورهم، التي أُقيمت في حواضرهم، فقد عُثر أخيراً في أنقاض قصر القائم بين عبيد الله المهدي على ردهة كبيرة مُزخرفة بالفسيفساء العربية [3].

وازدهرت صناعة الزجاج والبلور أيضاً، ويُعزى ذلك إلى النشاط في حركة البناء، من إقامة القصور، والمساجد، وما يستلزم ذلك من تزويد هذه المنشآت بالقناديل والزجاج، وقد عُثر في الحفريات التي تمت في المغرب على قارورات من الزجاج [4]، وبعض أوعية البلسم، وزجاجات العطور [5] تُشير إلى رقي صناعة الزجاج في ذلك العصر، وقد كانوا يتخذون من الزجاج بعض أنواع الأوزان، ويُشير إلى ذلك المقدسي بقوله: "سنجهم من زجاج مطبوع"[6]، إضافة إلى أنّه كان سلعة مهمة من السلع التي كان يحملها التجار معهم إلى بلاد السودان [7].

---

[1]) ابن حماد: محمد بن علي بن حماد أبو عبد الله، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ،1980م، ص14؛ مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص129.

[2]) الفسيفساء: هي قطع صغيرة مكعبة الشكل تتخذ من المرمر والرخام والحجارة وأحياناً من الزجاج الملون، وتُرسم على مادة رخوة – كالجبس المبلل مثلاً – فتركب منها يد الصانع الماهر صوراً محكمة للآدميين والحيوان الضاري منه والداجن والبنات والأزهار، وبعد جفافها تحول إلى ألواح وتغطى بها أرضيات البيوت والقصور عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج1، المرجع السابق، ص376.

[3]) المرجع نفسه، ج1، ص378-379.

[4]) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر، 1968، ص218.

[5]) عبد الحليم عبد الفتاح: دولة بني حماد، دار الهدي، الجزائر ،2000م ص296.

[6]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص240.

[7]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص66.

وكانت مدينة طرا من أشهر مراكز صناعة الزجاج في بلاد المغرب، حيث أنتجت أفخر أنواع الزجاج الصافي [1]، ومن الأماكن التي اشتهرت بهذه الصناعة أيضاً مدينة بجاية [2].

وقد استخدم البلور الصخري [3] في عمل الكؤوس والأباريق وغيرها من التحف الثمينة.

أما الفخار فإن أهم المراكز التي نالت شهرة في صناعته مدينة تونس، التي كان يُصنع بها آنية للماء من الخزف، تُعرف بالريحية "شديدة البياض في غاية الرقة، تكاد تشف ليس يعلم لها نظير في جميع الأقطار وعامة الأمصار"[4]، إضافة إلى قطر قناطة، الذي كان يُعمل به فخار كثير ساذج، يُرسل إلى المهدية وغيرها، وقد صُنع هذا الفخار من الطين الأحمر [5].

كما برعت بلاد المغرب في العصر الفاطمي، في إتقان صناعة الخشب، والنقش، والحفر عليه، وزخرفته، وتطعيمه، وساعدهم على ذلك وفرة الأخشاب الصالحة لهذه الصناعة من الأرز والصنوبر، والبلوط والتي كانوا يحصلون عليها

[1]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص108 "مدينة من مدن بلاد الجريد".

[2]) لويس ارشيبالد: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، تحقيق أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص330.

[3]) نقل القزويني عن أرسطوان أن حجر البلور صنف من الزجاج إلا أنه أصلب وقال أنّه يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت "القزويني: زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان،2000م، ص184".

[4]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص40-41.

[5]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص126؛ (قصر قناطة يقع في الطريق ما بين المهدية وصفاقس).

من الغابات المنتشرة في أماكن متفرقة من بلاد المغرب [1]، ولكنهم اضطروا في بعض الأحيان إلى استيراد بعض الأنواع الفاخرة منه، كالساج، والأبنوس، من بلاد السودان والأندلس، والعراق [2].

ومن التحف التي تعود للعصر الفاطمي، باب جامع سيدي عقبة في مدينة طبنة [3]، وهو من خشب الأرز.

كما راجت في بلاد المغرب صناعة عصر الزيوت، لما لها من أهمية كبرى في هذه البلاد، إذ تُعد مادة غذائية هامة لكثير من طبقات الشعب. ولذلك اعتنى أهل البلاد بزراعة النباتات الزيتية من زيتون، وسمسم، وهرجان [4]، وكان أهم أنواع الزيوت وأكثرها انتشاراً زيت الزيتون، ويعود سبب ذلك إلى وفرة أشجاره في البلاد[5].

ومن أهم مراكز عصر زيت الزيتون مدينتا برقة[6]، وقابس[7]، أما مدن قفصة، وصفاقس، وزويلة بالمهدية، فقد تميزت بالإنتاج الوفير، الذي كان يفي بالحاجة ويفيض فيُرسل منها إلى بقية الأقطار [8].

---

[1]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص5-9-147.

[2]) ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص81؛ الحميري: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص165.

[3]) زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1937م، ص197 (ويظن أنه صنع بأمر الخليفة الفاطمي المنصور لضريح سيدي عقبة في جامع طبنة).

[4]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص119.

[5]) المرجع نفسه، ص118.

[6]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص67.

[7]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص706.

[8]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص19-20.

كما قامت صناعة السكر، وبخاصة في بلاد السوس، التي احتكرت صناعته[1]، وانتشرت في بلاد المغرب عادة شرب الخمر، وكانت أكثر أنواع الخمور والنبيذ انتشاراً المصنوعة من العنب والعسل، أما نبيذ الذرة فلم يكن واسع الانتشار[2]، وقد راجت هذه الصناعة في تونس[3]، والقيروان[4].

المبحث الثالث: النشاط التجاري.

أولاً– أسواق المهدية والمنصورية:

تنوعت السلع داخل أسواق بلاد المغرب، واشتهرت كل منها بنوعٍ معين من المعروضات، فقام هناك نوعٌ من التكامل بين هذه الأسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن والقرى، فمدن المغرب كانت تعتمد على القرى لسد احتياجاتها من المواد الغذائية والأولية للصناعة، بينما كانت المدن تمد أهل القرى بالصناعات الأولية[5].

وكانت الأسواق مُنسّقة تنسيقاً بديعاً، فقد كانت الدكاكين صفاً متصلاً، يُقابله مثله يفصل بينهم ممر معقود السقف بالآجر، وأمام صف الدكاكين مصطبة قصيرة يجلس عليها المشترون[6].

وهذه الأسواق تنقسم إلى قسمين أحدهما للصناعات اليدوية، والآخر يشمل أسواق البيع المعدة لعرض المنتجات المحلية والأجنبية [1].

---

[1]) الإدريسي: صفة المغرب، المصدر السابق، ص62.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص75.

[3]) ابن أبي دينار: المؤنس، المصدر السابق، ص10.

[4]) القيرواني: أبي عبد الله محمد بن حارث بن أبي أسد الخشنى، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص251.

[5]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص132.

[6]) عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج1، المرجع السابق، ص58–59.

كما كانت الدكاكين المخصصة للتصنيع أكثر اتساعاً من دكاكين البيع، لأن عدد العاملين في الصناعة يكون أكثر منه في التجارة [2].

وكان العمل في هذه الأسواق يمتد إلى فترة متأخرة من النهار، وكانوا لا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء، بعد أن ينتهوا من العمل [3]، وفي المساء تُضاء الأسواق بالمصابيح، ولا يبقى فيها سوى الحراس، فكان المعمول به في ذلك الوقت أن تُضرب الأبواق في المساء بعد إغلاق الأسواق، فيمنع التجول خلال الطرقات [4].

وبما أن الأسواق كانت محوراً للحياة الاقتصادية، حيث يتركز فيها النشاط الصناعي والتجاري، فقد كانت موضع اهتمام الخلفاء والأمراء الفاطميين [5].

وقد كانت المهدية من أعظم المدن التي شُيّدت على يد الفاطميين، والتي أدّت دوراً كبيراً في التاريخ السياسي، والاقتصادي لبلاد المغرب، وهي تبعد من القيروان ستين ميلاً [6].

ومن أجل تدعيم مراكز المدينة الناشئة فقد أمر عبيد الله المهدي سنة 309هـ بأن يكون طريق الحج ماراً على المهدية، لأداء ما يجب عليهم من المغارم على ألا يتعدى أحد هذا الطريق[7].

---

[1]) عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة، ج1، المرجع السابق، ص71-72.

[2]) المرجع نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحات.

[3]) الدباغ: ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، المصدر السابق، ص33.

[4]) المصدر نفسه، ج3، ص86-87.

[5]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص135.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص25.

[7]) ابن عذارى: البيان، ج1، المصدر السابق، ص189-191.

كما أقام المهدي بها الدكاكين، ورتّب فيها أرباب المهن كل طائفة في سوق، فنقلوا إليها أموالهم [1]، فازدهر بها النشاط التجاري بفضل تجارها الذين وصفهم ابن حوقل بقوله: "وتجارها طراة"[2]، ووصفهم الإدريسي بقوله: "وأهلها تجار مياسير نبلاء ذوي أذهان ثاقبة وأفهام ذكية.. ولهم معرفة زائدة في التجارات وطريقتهم حميدة في المعاملات"[3].

كما ساعدها على ازدهار النشاط التجاري بها، الطرق البرية التي كانت تربطها بالداخل لنقل التجارة الصادرة والواردة إليها، وخاصة تجارة القيروان، لذا وصفها المقدسي بأنّها: "خزانة القيروان"[4].

أما الطرق الداخلية التي تربط أسواق المهدية بغيرها من مدن المغرب، فقد تعدّدت تلك الطرق، وإن كان المعروف منها قليل مثل طريق صفاقس المهدية، وهو مرحلتين[5]، ومنه إلى رقادة القيروان، وبين المهدية والقيروان مرحلتين، ومن المهدية إلى المنستير إلى المهدية ثلاثون ميلاً[6]، ومن المهدية إلى سلقطة ستة أميال، ومن إلى قصر العالية ستة أميال وإلى قبوذية[7] ستة عشر ميلاً[1]. ثم الطريق الرابط

[1]) ياقوت الحموي: عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، ج5، ص231.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص73.

[3]) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة المعارف، بيروت ،1986، ص184.

[4]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.

[5]) الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص182.

[6]) المصدر نفسه، ص183.

[7]) قبوذية: تعريف بتحريف للاسم الروماني Coput Voda "الإدريسي: نزهة المشتاق، هامش 137، المصدر السابق، ص204.

بين المهدية وسوسة والمهدية ورباط قصر بشقانص[2]، ثم هناك الطرق التي تربط أقاليم المغرب بعضها ببعض، وكلها متصلة بشكلٍ أو آخر، مما يخدم التجارة في الدولة الفاطمية الناشئة.

لم تتمتع مدينة المهدية بهذا المركز فترة طويلة، حيث رحل عنها الخليفة المنصور بعد قضائه على ثورة أبي يزيد إلى مدينة المنصورية، فخلت أكثر أراضيها، وتهدّمت، ووصف ابن حوقل ذلك بقوله: "وقد اختلت أحوالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها وبعدهم عنها"[3].

أما مدينة المنصورية التي شيدها المنصور الفاطمي سنة 337هـ، ونقل إليها الخليفة المعز أسواق القيروان وجميع الصناعات بها[4]، فقد وصفها المقدسي بقوله: "ولا ترى مثلها ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها شديدة العمارة حسنة الأسواق"[5].

وقد ازدادت أهميتها أكثر بانتقال من كان بالقيروان إليها، وإغلاق أسواق مدينة القيروان وفنادقها، فبلغ كراء حانوت بالمنصورية نتيجة لذلك مائتي درهم[6]، ولا أدل على ثرائها وكثرة التجارة بها، من أن المكوس التي كانت تُجبى يومياً عند

[1]) الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص204.

[2]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص74-75.

[3]) المصدر نفسه، ص71.

[4]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص25.

[5]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص226.

[6]) ابن عذارى: البيان، ج1، المصدر السابق، ص271-272.

باب من أبوابها تبلغ ستة وعشرين ألف درهم[1]، ولنا أن نعرف مدى غناها، إذ كان ذلك المال من بابٍ واحد، فكيف هي الأبواب الأخرى.

وكانت صبرة كالمهدية مُنسّقة الدكاكين واسعة الشوارع[2]، مما يساعد على حرية الحركة والتنقل، وقد ساعد على نهوض المنصورية التجاري نقل جميع أسواق القيروان إليها[3]، مما جعلها تحتل المرتبة الأولى في الخلافة الفاطمية تجارياً.

أما عن طرقها البرية، فكان اهتمام المعز بالطرق التجارية كبيراً، ويظهر ذلك في توفير الأمان على هذه الطرق، بوضع الحاميات العسكرية في الحصون[4]، كما اهتموا بتوفير الفنادق، والحمامات والأربطة لخدمة التجار والمسافرين[5].

فمن المنصورية كانت تخرج شبكة من الطرق غطّت أنحاء البلاد، فإلى المناطق الساحلية خرج طريق إلى بونة، وآخر إلى تونس بطول مائة ميل، وطريق إلى سوسة طوله ستة وثلاثون ميلاً، وطريق إلى المهدية بطول ستون ميلاً، كما خرج طريق آخر إلى مدينة صفاقس يمر على طرفي وقصر رباح[6]، وإلى الجنوب تخرج طرق أخرى، فطريق إلى مدينة قفصة يقطع في ثلاثة أيام، وطريق إلى نفزاوة يُقطع في ستة أيام، وهو يمتد إلى مدينة قسطيلية ومنها على غدامس، كما كان هناك طرق تؤدي إلى المغرب الأدنى، فكان يخرج من المنصورية طريق إلى

[1]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص25.

[2]) الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص185.

[3]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص25؛ ابن عذارى: البيان، ج1، المصدر السابق، ص271-272.

[4]) أرشيبالد: ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص330.

[5]) المرجع نفسه، ص330.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص20-29-34-37.

طرابلس يمر بالقيروان وقابس، ومن طرابلس يتجه إلى سرت، وبينهم عشرة أميال، ومنها إلى إجدابيا ست مراحل، ثم إلى برقة ست مراحل أيضاً[1].

كما يخرج من مدينة المنصورية طرق أخرى تجاه مدن المغرب الأوسط والأقصى، وأهم هذه الطرق ما كانت تمتد من مدينة فاس، ويتفق مسارها مع السفوح الشمالية لجبال أطلس إلى تازا وتلمسان، ومنها إلى تيهرت، ثم إلى مدينة المسيلة، الواقعة شرقي جبلي أدنة، ثم يتجه غرباً مع السفوح الشمالية لجبال أوراس، إلى موضع يسمى مسكيانة، ومن هذا الطريق يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما يمر بمدينة تبسا، ويسلك هذا الطريق في فصل الشتاء، والثاني إلى الشمال من هذا الطريق ويسلك في فصل الصيف، ويمر بمدينة مجانة ومنها إلى المنصورية، ومن أراد المنصورية من وهران يستطيع أن يأخذ هذا الطريق ابتداءً من تيهرت، وقد يسلك طريقاً آخر، لا يمر بتيهرت، بل يتجه إلى الجنوب الشرقي بين الجبال، يمر على بسكرة، ويأخذ نفس الاتجاه في المنخفضات، الواقعة جنوب جبال أوراس ومدينة توزر، ثم يتجه إلى الشمال الشرقي من المنصورية، وهذا الطريق أطول من الطريق السابق، إذ يبلغ 43 مرحلة، بينما الطريق من مدينة فاس على الطريق السابق ثلاثاً وأربعين مرحلة فقط[2].

الطرق النهرية: استخدمت الأنهار في المغرب، رغم قلتها في عمليات نقل البضائع، وقد نجحت هذه الوسيلة في ربط الموانئ البحرية في المهدية وغيرها من موانئ الخلافة الفاطمية بالمراكز التجارية الداخلية كالمنصورية، ولم تكن هذه الأنهار صالحة تماماً للملاحة، ولكن كانت هناك أجزاء قصيرة منها هي الصالحة

[1]) المصدر نفسه، ص6-17.

[2]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص141-146.

فقط للملاحة، وخاصة المتسعة والعميقة والقريبة من مصباتها، كما أنها لم تكن صالحة للملاحة طوال العام لفصلية الأمطار التي تغذيها بالمياه [1].

وأهم هذه الطرق النهرية، النهر القريب من مدينة طبرقة، وهو نهر كبير تدخله السفن الكبيرة وتخرج منه[2]، أما نهر تافني الذي يمر بمدينة أرشقول فكان يدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينهما ميلان[3].

ثانياً: المهدية والمنصورية والتجارة الخارجية:

مع مصر:

كانت العلاقات التجارية بين المهدية والمنصورية حاضرتي الخلافة الفاطمية ومصر علاقات وثيقة، وقد استمرت هذه العلاقات حتى بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، وذلك راجع إلى سلطة الفاطميين القوية، وتوثيقهم العلاقات بينهما، وتنميتها بفضل التسهيلات التي مُنحت لتجارها[4]، فقد كانت السفن الفاطمية تنطلق باستمرار إلى مصر، محملة بالحجاج المغاربة، ومختلف أنواع السلع، من الفاكهة، والجوز، واللوز، والفستق[5]، إلى جانب زيت الزيتون[6].

كما كان يُصدّر إلى مصر خامات الحرير[7]،إضافة إلى الأصواف[1]، كما كان يُصدّر إلى مصر النسيج الطرافي[2]،أيضاً البللور[3].

---

[1]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص140.

[2]) البكري: المُغرب، المصر السابق، ص57.

[3]) المصدر نفسه، ص77.

[4]) البراوي: حالة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص230.

[5]) البكري: المُغرب، المصر السابق، ص47.

[6]) المصدر نفسه، ص20.

[7]) البراوي: حالة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص261.

أما الرقيق الأسود والأبيض، فكان يُجلب من الأندلس وصقلية[4]، وبلاد السودان[5]، ويُصدّر أجوده إلى مصر [6].

أما ما كان يُستورد من مصر، فمن مدينة تنيس قماش البوتلمون الذي اشتهرت به هذه المدينة دون غيرها من بلدان العالم، وهو قماش يتغير لونه بتغيّر ساعات النهار[7]، بجانب ما كان يُستورد من مصر من توابل وعطور وبخور كانت تأتي من أسواق الشرق إلى مصر، عن طريق ميناء عذاب، ثم تنقل إلى مدينة الفسطاط[8]، ومنها إلى الإسكندرية، حيث ينقلها التجار المغاربة إلى بلادهم، ثم إلى أوروبا[9]، عن طريق البحر والقوافل البرية، كما كان يضطر في بعض الأحيان إلى استيراد الحبوب من مصر، في حالات القحط والأزمات الاقتصادية[10]، إضافة إلى ذلك كانت القوافل تحمل منتجات بلاد السودان وغانة وحوض السنغال والنيجر إلى واحات مصر[11].

---

[1]) البكري: المُغرب، المصر السابق، ص5.

[2]) المصدر نفسه، ص47.

[3]) ناصر خسرو علوي: سفر نامة، تحقيق يحيي الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1993م ص60.

[4]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصر السابق، ص242.

[5]) البكري: المُغرب، المصر السابق، ص11.

[6]) المقدسي: أحسن التقاسيم، المصر السابق، ص242.

[7]) ناصر خسرو: سفر نامة، المرجع السابق، ص38.

[8]) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص379.

[9]) ارشيبالد: القوى البحرية، المرجع السابق، ص252.

[10]) البراوي: حالة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص362.

[11]) حسن: إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية واليمن، مكتبة النهضة، القاهرة، ط3، 1964م، ص616.

ونستنتج مما سبق ذكره أن السلع المتبادلة بين بلاد المغرب ومصر لم تكن من إنتاجهما فقط، وإنما كان هناك نوعٌ آخر من السلع، وهي البضائع الهندية الآتية من الشرق الذهب والفضة من السودان، ومن جهة أخرى لم تكن – هذه البضائع من أجل الاستهلاك المحلي في كلا البلدين، بل كان في الغالب يُعاد تصديرهما إلى الأندلس وصقلية، لما عُرف عن أهل المغرب عملهم في الوساطة التجارية.

مع بلاد السودان:

ارتبطت الدولة الفاطمية بعلاقات تجارية واسعة مع بلاد السودان، وقد عادت هذه العلاقات على الطرف الأول بالخير والثراء، فقد كانت القوافل تخرج من أراضي الدولة الفاطمية محملة بالبضائع لتنطلق إلى الجنوب ومعها الأدلاء حتى تصل إلى المراكز التجارية السودانية الرئيسة التي كان من أهمها التكرور، وكومبي، وتمبكتو، وكانم، وتاد مكة، وكوكوا [1]. وبهذه الرحلات المنتظمة بين الشمال والجنوب تدفّق على الدولة الفاطمية فيضٌ منتظم من الذهب والعبيد، ملأ خزائن الأمراء والتجار بالمال الوفير.

وفي مقدمة السلع التي كانت تُستورد من جنوبي الصحراء الذهب الذي اشتهرت به بلاد غانة، ويجود بها في المناطق الجنوبية في منطقة وفقارة، ومع أن غانة لم تسيطر على المنابع الرئيسة للذهب في هذه المنطقة، إلا أنها تحكّمت في

[1]) عفيفي محمود: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص174.

الطرق المؤدية إليها[1]، فضلاً عن أن بلادها ضمت بعض المناجم وأفضلها ما كان في مدينة غياروا[2].

وبغربي غياروا على النيل مدينة يرسني، ويوجد بها بنو تغمارته، وهم تجار التبر في هذه البلاد، وأيضاً على مسيرة خمس عشرة مرحلة من مدينة غانة، توجد مدينة كوغة التي يوجد حولها التبر وافراً وهي "أكثر بلاد السودان ذهباً"[3]، وكان التجار يحصلون على الذهب مقابل الملح[4].

وقد قام ملوك غانة وتجارها تبعاً لذلك – بدور الوسيط بين منتجي الذهب في الجنوب وبين المغرب في الشمال[5]. وكان الذهب المستورد من بلاد غانة وجنوبها يُستخدم جزء منه في صناعة العملة، حيث يذهب به على دور الضرب في المهدية والمنصورية[6]، ويُضرب دنانير يتصرفون بها في إتمام العمليات التجارية، أما الجزء الآخر فكان يُعاد تصديره إلى بلدان البحر المتوسط[7].

[1]) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م، ص67–68.

[2]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص176 (وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً في بلاد معمورة).

[3]) المصدر نفسه، ص179.

[4]) المصدر نفسه، ص174.

[5]) إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة، المرجع السابق، ص69–70.

[6]) حسن إبراهيم: الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص617.

[7]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص174.

ولم يقتصر التبادل التجاري على الذهب فقط، بل كان يُصدّر لبلاد السودان النحاس الأحمر، وثياب الصوف، والعمائم، والسروج، واللبود، والمسابح، وأدوات الزينة، والفواكه المجففة ومن بينها التمر[1].

أما ما كان يستورد من بلاد السودان فالعاج وريش النعام، وخشب الأبنوس، والصمغ وجوز الكولا، وجلود الحيوانات[2].

مع بلاد الأندلس:

نشطت العلاقات التجارية بين الفاطميين والأندلس، رغم الصراع المذهبي بين الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية في الأندلس، حيث إنَ ذلك الصراع لم ينعكس على النشاط التجاري، بل كان السفر بينهما ميسراً للتجار دون عقبات.

وقد أظهر التجار اليهود في الأندلس دوراً مهماً كوسطاء في التعامل التجاري بين حاضرتي الخلافة الفاطمية والأندلس، وقد ساعدهم على ذلك اتصالهم الوثيق بأقرانهم في مختلف الجهات، وخبرتهم في الشؤون المالية والتجارية[3]، وخاصة أن بلاد المغرب كانت بها جالية يهودية كبيرة[4].

ويؤكد هذا النشاط كثرة وفود السفن الأندلسية على موانئ الخلافة الفاطمية، وبخاصة ميناء مدينة المهدية، ويؤكد ذلك قول الإدريسي: "المسافر إليها كثير

[1]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص179؛ إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة، ص65.

[2]) الأندلسي: حماد بن الأمين، تحفة الألباب في شرح الأنساب، دار إحياء التراث الإسلامي، 1985م، ص43.

[3]) عبد الحميد الشرقاوي: الملاحة البحرية الأندلسية، المرجع السابق، ص59.

[4]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص179.

والبضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار"[1]، ثم يأتي بعده ميناء مدينة تونس[2]، ثم ميناء قرية طبرقة التي اشتهرت بكثرة ورود التجار الأندلسيين إليها[3].

وأهم ما تحمله المراكب الأندلسية إلى بلاد الخلافة الفاطمية الأسلحة والحرير الخام، والمشغول والثياب الصوفية، والزيوت[4]،إضافة إلى الجواري الأندلسيات[5].

بينما كانت المهدية والموانئ الفاطمية تصدّر إلى الأندلس الصمغ الذي يُصمغ به الديباج الأندلسي[6].

مع صقلية وجنوب إيطاليا والدولة البيزنطية:

بخضوع صقلية للسيطرة الفاطمية فقد ارتبطت معها بعلاقات تجارية وثيقة، فقد كان التجار يُقلعون من الموانئ الفاطمية كالمهدية وغيرها، نحو صقلية محملين بالسلع من زيت الزيتون، الذي كان يُجلب من مدينة صفاقس[7]، وعند عودتهم تحمل السفن بمنتجات جزيرة صقلية من الحديد، والأخشاب اللازمة لصناعة السفن[8].

[1]) الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق ص182.

[2]) الأصطخري: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم ، القاهرة ، 1961، ص38.

[3]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص74.

[4]) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، المرجع السابق، ص102.

[5]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص114.

[6]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص157.

[7]) البكري: المُغرب، المصدر السابق، ص200.

[8]) جوذر: سيرة جوذر، المصدر السابق، ص116-121.

كما كان العداء السياسي بين الخلافة الفاطمية وجنوب إيطاليا والدولة البيزنطية لم يمنع وجود علاقات تجارية بينهما، فابن حوقل يذكر أن السلع التي كانت تأتي من بلاد الروم تعشر على سواحل البحر[1]. وقد اتخذ التجار الفاطميون جزيرة صقلية جسراً يعبرون منه على جنوب إيطاليا. ولذا فقد ارتبطوا بعلاقات تجارية مع مدينة بيزا، التي كانت أولى المدن الإيطالية في امتلاك قوة بحرية التي كان لها تجارة رائجة مع الدولة الفاطمية، كما أن مدينة البندقية نجحت في إنشاء علاقات تجارية واسعة النطاق مع المسلمين في المغرب والشام ومصر[2].

وكانت المدن الفاطمية تصدّر إلى تلك المناطق التمر[3]، وزيت الزيتون[4]، وتوابل الشرق وحريره[5].

مع بلاد المشرق والهند والصين:

كانت المدن الفاطمية ترتبط بعلاقات تجارية مع كثير بلدان المشرق، فكان يرد على موانيها كثير من تجار بلاد الشام محملين بسلع المشرق[6]، ومن نفس هذه الموانئ كانت تبحر الأساطيل التجارية الفاطمية محملة بالسلع إلى موانئ الشام[7].

ورغم العداء بين الفاطميين والعباسيين، فإننا نجد إشارات إلى وجود علاقات تجارية بين المشرق والمغرب، فيذكر ابن حوقل أنّه كان يجلب من العراق "خز حسن"[1].

---

[1]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص97.

[2]) البراوي: حالة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص220-223.

[3]) شارل ديل: البندقية جمهورية ارستقراطية، ص53.

[4]) البكري: المغرب، المصدر السابق، ص20.

[5]) ارشيبالد: القوى البحرية، المرجع السابق، ص252.

[6]) عفيفي: أحوال بلاد المغرب، المرجع السابق، ص181.

[7]) المرجع نفسه، ص182.

أما عن تجارة الهند والصين، فقد كانت التوابل والعطور والبخور من أهم واردات الخلافة الفاطمية من هذه المناطق[2]، بينما كان المرجان من أهم السلع التي تصدّر إليها[3].

الخلاصة:

لقد حاولنا في بحثنا هذا أن نلقي الضوء على مدينتي المهدية، وهي عاصمة الفاطميين والمنصورية العاصمة الثانية بعدها، ودورهما الحضاري في بلاد المغرب تحت الحكم الفاطمي، التى واجهت العديد من الانتقادات من قبل العديد من المؤرخين الذين حاولوا إثبات إن الخلافة الفاطمية لم تقدم شيئاً من التقدم إلى بلاد المغرب بل وأخذت منها كل شيء، ولكن ذلك منافٍ للحقيقة، حيث حاولنا في بحثنا هذا الذي يمثل نقطة في بحر التاريخ الإسلامي إظهار ما قدمته الخلافة من رقي وازدهار في المغرب.

ونستطيع أن نخلص إلى النتائج التى توصلنا إليها نعرضها في الآتي:

_ الثراء الفاحش للدولة الفاطمية الذي يثبت تقدم الدولة اقتصادياً، عكس ما صور بعض الباحثين من أنه كان هناك انهيار اقتصادي وحضاري.

_ كما أنصبَّ اهتمامهم في الحياة الاقتصادية في عمارة الأسواق ونظافتها، والاهتمام بتوسيع المصارف المائية، ونقل المياه إلى المناطق البعيدة والنائية، وتوسيع الطرق وتعبيدها، وإقامة الحاميات العسكرية على طرق القوافل التجارية لحمايتها من قطاع الطرق.

[1]) ابن حوقل: صورة الأرض، المصدر السابق، ص73.

[2]) البراوي: حالة مصر الاقتصادية، المرجع السابق، ص255-256.

[3]) الجيلاني: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر،1965م، ط2، ج1، ص354.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر.

1- ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، دار المسيرة، لبنان، 1993، ط3.

2- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبى زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.

3- أبي الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، تصحيح زيتون، دار الطباعة السلطانية، تونس، 1840م.

4- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.

5- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، د.ت، ج2.

6- ابن رسته: أحمد بن عمر أبو علي، الأعلاق النفسية، مطبعة بريل، ليدن،1981م.

7- ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، د.ت.

8- ابن سعيد: المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق د.خوان قرنبيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1958.

9- ابن حماد: محمد بن علي بن حماد أبو عبد الله، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ،1980م.

10- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

11-التجاني: رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1981م.

12-الجزناني: على، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبعة الملكية، الرباط، 1991م.

13-الجوذري: منصور العزيري، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل وعبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.

14-الدباغ: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النوار ومحمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1972،4م.

15-العمري: شهاب الدين أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار دار الكتب العلمية،2010 م.

- العمري: مسالك الأمصار في الممالك والامصار، تحقيق: ميخائيل أماري، مكتبة الصقلية،1858م.

16-المقدسي: أبو عبد الله بن احمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ط3، 1909م.

17-المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، لقاهرة، د.ت، ج2.

- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحلفاء، نشر جمال الدين الشيال، دار الفكر، القاهرة، 1967 ج1.

18- المراكشي: عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار العرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلوي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1948م.

19- القيرواني: أبي عبد الله محمد بن حارث بن أبي أسد الخشنى، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.

20- النعمان: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس،1978، ج1.

21- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج2.

22- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار فى وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، 1958م.

23- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة المعارف، بيروت، 1986م.

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، قطعة مأخوذة من كتاب"" نزهة المشتاق في اختراق الأفاق""، لندن، 1863م.

24- الأندلسي: حماد بن الأمين، تحفة الألباب في شرح الأنساب، دار إحياء التراث الإسلامي، 1985م.

25- الأصطخري: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم، القاهرة، 1961م.
26- ياقوت الحموي: عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
27- اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، أبو العباس، صفة المغرب، "" مأخوذة من كتاب البلدان له "" طبع أوربا، د.ت.

ثانياً: المراجع.

1- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية عانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م.
2- إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م.
3- إحسان حقي: المغرب العربي، دار اليقظة الفكرية للنشر والتوزيع، بيروت (د.ت).
4- أرشيبالد: ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
5- البراوي: راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948م، ج،1.
6- الجيلاني: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر،1965م، ط2، ج1.

7- بوفيل: إي. و، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة رياض زاهر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م.
8- رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر، 1968م.
9- زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1937م، ص197.
10- حسن: زكي محمد، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م.
11- حسن: حسن إبراهيم، المعز لدين الله، القاهرة، 1948م.
12- حسن: إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية واليمن، مكتبة النهضة، القاهرة، ط3، 1964م.
13- عفيفي محمود ابراهيم عبد الله: أحوال بلاد المغرب الاقتصادية في ظل السيادة الفاطمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، القاهرة، 1977م.
14- صقر: أحمد: مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بو سلامة، تونس، ج1.
15- عبد الوهاب: حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، ج2، مكتبة المنار، تونس 1972م.
16- عبد الحليم عبد الفتاح: دولة بني حماد، دار الهدي، الجزائر ،2000م.
17- ناصر خسرو علوي: سفر نامة، تحقيق يحيي الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1993م.